٢/٤ الانترنت والصحافة الاستقصائية

خلال العقود الماضية، كانت صورة الصحفيين الاستقصائيين تتمثل بهيئة اشخاص يلتقون بمصادر مجهولة في الفنادق او الغرف المظلمة او محطات قطار نائية، يسجلون ملاحظاتهم على قصاصات من الورق، محاولين نبش المعلومات عن صفقات فاسدة أو نشاطات عصابات الجريمة المنظمة.

آنذاك، كما يقول الصحفي بوب غرين الحائز على جائزة بوليتزر، كان الصحفيون الاستقصائيون يلتقون مع السياسيين ورجال العصابات واللصوص من أجل الحصول على قصص مثيرة، وكان السبيل الوحيد للحصول على المعلومات هو مقابلة الاشخاص بشكل مباشر، أو البحث في السجلات الورقية والمذكرات الرسمية، مستعينين ربما، بعشرات الآلاف من بطاقات الفهارس في المكتبات والاراشيف [١٢٦] .

أما اليوم، فالصحفيون الاستقصائيون يستطيعون الحصول على ما يريدونه من معلومات وبيانات مهما كانت موسعة، عبر الدخول الى شبكة الانترنت للاطلاع على كميات هائلة من المعلومات والبيانات، أو حفظها في اجهزة تخزين صغيرة ومن ثم الاطلاع عليها في أي وقت يشاؤون.

الامكانيات التي وفرها لنا العصر الرقمي، فرضت تغييرات جذرية في أدوات الصحفي الاستقصائي، معظمها كانت نحو الافضل، فبوسع الصحفي الان ان يبحث في مليارات الوثائق والبيانات والمعلومات الرسمية وغير الرسمية، وعن معلومات تتعلق بحكومات وشركات واشخاص نافذين وافراد عاديين وسجلات مصارف ومؤسسات اقتصادية كبرى وحيثيات جرائم قتل وسرقة وانتهاكات والكثير من المعلومات المفصلة التي بوسع الصحفي الاستقصائي الحصول عليها والاستفادة منها في عمله الاستقصائي.

126- Sonia Boonchanasukit, "Modern tools aid investigative reporting". Available at http://archive.azcentral.com/specials/special01/0528bolles-reportingtools.html. Accessed in 6 June 2014.

REDMI NOTE 10
23/03/2024 16:47

وبرغم ان عددا من الصحفيين ما زالوا يعتقدون بأن التكنولوجيا الحديثة لم تقدم شيئا كبيرا لتحسين طريقة انجاز التحقيقات الاستقصائية، وأن الجيل الجديد من الاستقصائيين بات يعتمد على الانترنت في استقاء معلوماته وليس التحري المباشر، لكن مقدار التطور الكبير الذي شهدته الصحافة الاستقصائية في السنوات الاخيرة يؤكد ان هذا النوع من الصحافة كان سيكون افضل بكثير قبل ٣٠ عاما، لو توفر له هذا الكم الهائل من قواعد البيانات التي يزخر بها الانترنت حاليا.

يقدم الصحفي الاستقصائي في صحيفة نيويورك تايمز الامريكية، ستيفن ميلر، نموذجا لما يمكن ان يحصل عليه الصحفي الاستقصائي من توظيف الانترنت في عمله، فمن خلال استخدامه لمجموعة متنوعة من برامج الحاسوب تمكن ميلر من تحليل بيانات تتعلق بالبلاغات المقدمة لشركات التأمين حول سرقة أجهزة الحاسوب المحمول (اللابتوب)، واكتشف أن معدل عدد الاجهزة المسروقة ارتفع خلال خمس سنوات فقط، الى ثمانية اضعاف.

لاحقا، توصل ميلر الى حقيقة ان الموظفين الذين يحصلون على اجهزة الحاسوب من شركاتهم كانوا يتعاملون معها بحرص أقل مما يتعاملون به لحماية اجهزتهم الشخصية. ويؤكد ميلر انه لو لم «تقفز الارقام والنسب المئوية في وجهه، ما كان له أن ينجز تحقيقا استقصائيا من هذا النوع[١٢٧] .

في المقابل، عمل البروفيسور ستيفن دويغ استاذ مادة إعداد التقارير بمساعدة الحاسوب في جامعة أريزونا الامريكية، على تعقب تداعيات اعصار اندرو الذي ضرب الولايات المتحدة عام ١٩٩٢ وتسبب بأضرار بلغت نحو ٤٥ مليار دولار وراح ضحيته أكثر من ٦٥ قتيلا.

من خلال البيانات التي جمعها دويغ عن المساكن والممتلكات المتضررة ومحاولة اكتشاف تأثير أنماط البناء في حجم الاضرار التي تسبب بها الاعصار، اكتشف أن نسبة الاضرار التي لحقت بالمنازل التي بنيت حديثا كانت مرتفعة جدا قياسا الى المنازل الاكثر قدما، وهو ما

127- Ibid.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:47

اثبت أن ارتفاع نسبة الاضرار سببه الاساس هو ضعف قوانين البناء التي اتبعت في السنوات الأخيرة [١٢٨].

مواقع التواصل الاجتماعي والصحافة الاستقصائية

يختلف المشهد الاعلامي اليوم بشكل كبير عما كان عليه الامر قبل عشر سنوات، فالناس يتقاسمون الان المزيد من المعلومات على شبكة الإنترنت، والصحفيون اصبح بامكانهم الحصول على كميات كبيرة من المعلومات التي تنقلها مواقع التواصل الاجتماعي بشكل مستمر، والتشارك مع المواطنين في استقاء المعلومات.

واحدة من أبرز الخدمات الرئيسة التي تقدمها مواقع التواصل الاجتماعي للصحفي الاستقصائي، هي مساعدته على تتبع معلومات عن الافراد او المسؤولين الضحايا، فهؤلاء يعرضون الكثير من المعلومات الخاصة بهم على الفيسبوك وتويتر، بما فيها خلفيتهم التعليمية، ارتباطاتهم الاسرية، دائرة معارفهم واصدقائهم، النوادي الاجتماعية التي ينتمون اليها أو يتواصلون معها، وغيرها من المعلومات التي تتعلق بالحياة الخاصة والعامة لأي انسان.

وشبكات التواصل الاجتماعي توفر للصحفي الاستقصائي موارد مفيدة جدا للبحث عن القصص الاستقصائية والمصادر اللازمة للحصول على المعلومات، ومع التأكيد على ان التحقق من هويات المصادر ونوع المعلومات وصدقيتها بالنسبة لمواقع التواصل الاجتماعي، يتطلب جهودا أكثر وتقنيات تحقق اعلى مما هو في الممارسة الصحفية المباشرة، لكن في المقابل قد توفر هذه المواقع معلومات وتفاصيل لا توفرها الطرق التقليدية المعروفة، ويمكن دائما تطوير اليات التحقق والوصول الى افضل الممارسات عند استخدام هذه المواقع [١٢٩].

128- Ipid.
129- Jeff The SPJ Digital Media Handbook, Part I, (Society of Professional Journalists' Digital Media Committee, 2010.) p. 12 (Available at: http://blogs.spjnetwork.org/tech/wp-content/uploads/2010/03/ PJDigitalMediaHandbookV3. pdf. Accessed: 12 Feb 2014.)

REDMI NOTE 10
23/03/2024 16:47

في عام ٢٠١٠، اثبت الصحفي الاستقصائي بول لويس، الفائز بجائزة بولتيزر عام ٢٠٠٩، ان بامكان مواقع التواصل الاجتماعي ان تكون مساهما رئيسا في صناعة التحقيقات الاستقصائية واشراك الجمهور في تقديم المعلومات والتحقق منها، او ارسال اشارات للصحفي تشجعه على تتبع قضايا معينة وقصصا مثيرة.

فقد تعقب لويس في ذلك العام قصة موت لاجئ انغولي اثناء اعادته قسرا الى بلاده من قبل الشرطة البريطانية، وقام لويس باطلاق تغريدة على تويتر يسأل فيها أن كان أي شخص من ركاب الطائرة يمكنه ان يقدم معلومات حول ما حصل، وسرعان ما تلقى ردودا ومعلومات تكشف عن ان الشرطة البريطانية كانت تقيد الضحية بقسوة بالغة وأنها اساءت معاملته وكانت سببا في وفاته، وأحد الشهود الذين اكدوا الحادث، خاطب لويس قائلا «انا كنت أيضا هناك، والرجل كان يتوسل للحصول على المساعدة، أنا الآن أشعر بالذنب لأنني لم اتمكن من فعل شيء ١٣٠ .

وعبر الطريقة نفسها، تعقب لويس قصة الوفاة الغامضة لبائع الصحف ايان توملينسون، فالاخير كان قد تعرض للضرب المبرح من قبل الشرطة البريطانية خلال الاحتجاجات التي رافقت انعقاد مؤتمر الدول العشرين في لندن عام ٢٠١٠، ومن خلال التغريدات التي اطلقها الصحفي لويس، حصل على شهادات نحو عشرين شاهد عيان كانوا موجودين في مكان الجريمة، وكشفوا أن بائع الصحف لم يكن مشاركا في الاحتجاجات، بل أنه كان عائدا من عمله ومر بالمصادفة بالقرب من مكان الاحتجاجات فتعرض للضرب المميت ١٣١.

في الوقت الحاضر، يستخدم لويس حسابه على تويتر لإبقاء القراء على اطلاع بالمواضيع التي يكتب عنها، وهو يحصل دائما على افكار جديدة لقصصه، أو معلومات يقدمها له الجمهور لمساعدته في كتابة هذه القصص.

130- Syed Nazakat, "Social Media And Investigative Journalism", in The Social Media (R) volution? Asian Perspectives On New Media, Edited by Simon Winkelmann, (Johannesburg: Konrad-Adenauer-Stiftung, 2012), p 132.
131- Ipid, p133.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:47

مع ذلك، ما زالت طريقة التواصل مع الجمهور للحصول على قصص ومعلومات تطرح تحديا كبيرا يواجه الصحفيين الاستقصائيين، ابرزها أن الصحفيين لن يتمكنوا من لقاء مصادرهم وجها لوجه والتحقق من هويتهم او قدرتهم على امتلاك المعلومات التي يطرحونها، وهو بطبيعة الحال ضعف وثوقية هذه المعلومات قياسا الى المعلومات التي يتم تحصيلها بالطرق التقليدية للصحافة.

وكمثال على حجم الخداع الذي قد يتعرض له الصحفي من قبل المصادر المجهولة، في حال لم يكن يمتلك الادوات الكافية للتحقق من هوية مصادره وطبيعة معلوماتها، هو قضية الاهتمام العالمي الذي حظيت به مدونة تتحدث عن يوميات فتاة تعيش في العاصمة السورية دمشق في ظل الاضطرابات التي شهدتها البلاد انذاك، فالمدونة حصلت على نسب قراءة عالية في معظم بلدان العالم، واهتمام بالغ من وسائل الاعلام التي تابعت يومياتها ومع ذلك، تبين في النهاية انها كانت يوميات زائفة يكتبها رجل امريكي يعيش في العاصمة الايرلندية ادنبرة [١٣٢].

في المقابل، يبعث الانفتاح على المجتمع في ما يتعلق بتحقيقات لم تكتمل بعد، الكثير من القلق حول امكانية ان يقوم المتورطون بالقضية باخفاء اثار جرائمهم، أو أن يقوم صحفيون منافسون بالسطو على افكارهم وقصصهم اذا ما روجوا لها عبر مواقع التواصل الاجتماعي. يتحدث ديفيد كابلان، رئيس المركز الدولي للصحفيين الاستقصائيين، عن القلق الذي يساور الكثير من الصحفيين من امكانية ان يفقدوا قصصهم بسبب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، فبقدر ما يحتاجون الى معلومات ونصائح من الجمهور، فأنهم في الوقت نفسه يعملون في مجال تنافسي [١٣٣]، لكن صحفيين ينشطون كثيرا في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في قصصهم، يعتقدون أن قيمة المعلومات التي يحصلون عليها من الناس تخفف

132- The Future of Investigative Journalism Report: 3rd Report of Session 2010–12. London: House of Lords, Select Committee on Communication. Published by the House of Lords. 2012. Available at: http://www.publications.parliament.uk/pa/ld201012/ldselect/ldcomuni/256/256.pdf. (Accessed 14 Decr 2014) , p59.

133- Nazakat, op. cit., p 134.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:47

كثيرا من العيب الذي قد تحمله هذه الطريقة، وهو أن يعرف منافسوك نوع القصة التي تشتغل عليها.

ولايجاد التوازن بين الحالتين، تقترح الاستقصائية شيلا كورونويل، أن فيسبوك وتويتر وباقي مواقع التواصل الاجتماعي هي أداة واحدة من بين العديد من أدوات الصحفي الاستقصائي، والصحفي هو الذي يمكنه أن يقرر ما هي الادوات التي تناسب قصته هذه ولا تناسب القصة الاخرى، ومتى يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي، ومتى يتجنبها [١٣٤].

على ذات المنوال، اثارت الاشكاليات التي طرحت حول علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بالصحافة الاستقصائية تساؤلات غطت اغلب سنوات العقد الاخير، وكانت محورا رئيسا للمؤتمر العالمي للصحافة الاستقصائية الذي عقد في العاصمة الاوكرانية كييف، في خريف عام ٢٠١١.

ففي هذا المؤتمر، اتفق نحو ٥٠٠ من الصحفيين الاستقصائيين الذين قدموا من كل بلدان العالم، على أن منصات الإعلام الاجتماعي قد غيرت بالفعل طريقة تفاعل الناس مع الأخبار، وأن الناس تواقون لمعرفة المزيد من المعلومات وفي حال تجاهل الصحفيون الاستقصائيون امكانية الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي، فستكون الصحافة الاستقصائية في عداد الفنون المفقودة [١٣٥].

البحث في الانترنت

من المهم جدا ان يتمكن الصحفي الاستقصائي من تطويع التكنولوجيا الحديثة للاستفادة منها في عمله، لا يشترط هذا طبعا ان يتحول عمله من صحفي الى تقني حاسوب متخصص في شبكة الانترنت، لكن كلما ازدادت خبراته في مجال البحث عن المعلومات عبر الانترنت، كلما توفرت له امكانية الحصول على معلومات اكثر لانجاز تحقيقات أعمق واشمل.

134- Ipid,p 134.
135- Ipid,p 129.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:48

وكل هذه التقنيات موجودة مفصلا على شبكة الانترنت، سواء في كتب أو دوريات أو برامج الكترونية يمكن للطالب والصحفي الاستقصائي الاطلاع عليها باستمرار لتحديث معلوماته حول التقنيات الافضل للحصول على معلوماته.

وادناه، خلاصة لطرق البحث السهلة والعملية التي يمكن توظيفها للحصول على المعلومات من محركات البحث في الانترنت [١٣٦].

ومحركات البحث بشكل عام، تتكون جميعها من ثلاثة أجزاء هي:

(١) قاعدة بيانات الوثائق على شبكة الإنترنت.

(٢) محرك بحث يعمل على قاعدة البيانات.

(٣) سلسلة من البرامج التي تحدد كيفية عرض نتائج البحث.

بالنسبة للصحفي الاستقصائي، تكتسب عملية البحث والتحقق من المعلومات اهمية قصوى لأنها توفر له مساحة واسعة من البيانات التي تقود تحقيقه الى المكان الصحيح، وأبرز محركات البحث التي يتعامل معها الصحفيون عادة، كما باقي الباحثين او الناس العاديين، هو محرك البحث غوغل، فلدى هذا المحرك، واحدة من أكبر وأوسع قواعد البيانات في شبكة الانترنت، بما في ذلك العديد من أنواع مستندات الانترنت (ملفات PDF، وورد، إكسل، وغيرها من المستندات المعروضة عبر برامج متعددة).

وبرغم وجود عدد كبير من محركات البحث ومجموعات الاخبار الاخرى، الا ان شعبية

١٣٦- للاطلاع على طرق البحث عبر الانترنت مفصلا، ينظر: نشيوات، رعد منير، دليل توظيف الكومبيوتر والانترنت في العمل الصحفي، اعلاميون من اجل صحافة استقصائية عربية «اريج»، ٢٠١٠، ص ص ١٩-٢٨، متاح على: http://arij.net/sites/default/files/CAR_manual.pdf. تم الاسترجاع في ١٢ ايلول سبتمبر ٢٠١٤، وينظر ايضا:

Google, Search Engine Optimization Starter Guide, ٢٠١٠, http://static.googleusercontent.com/media/www.google.com/en//webmasters/docs/search-engine-optimization-starter-guide.pdf; Joe Barker, Investigative Reporting & Technology, Upper Arlington High School Journalism Hemmerly, http://uajourn.pbworks.com/f/Internet+Reporting.pdf; Marcus Lindemann, How to do better searches on the web, Global Investigative Journalism Conference, Rio de Janeiro, 12th - 14th October ٢٠١٣.

غوغل تحتل المرتبة الاولى عالميا من حيث الاستخدام وامكانية تحميل البيانات، وهو ما يجعل صفحات هذا المحرك تحقق اعلى نتائج البحث الممكنة، وقد لا يوفر محرك البحث غوغل لوحده كل ما يحتاجه الصحفي الاستقصائي من معلومات، لكنه مع ذلك يمكن ان يوفر بيانات ومعلومات، تعادل اضعاف ما يمكن ان توفره محركات البحث الاخرى.

البحث المنظم في شبكة الانترنت

الوقت بالنسبة للصحفي الاستقصائي، هو ترف لا يملكه، خصوصا في ظل المنافسة القائمة مع باقي الصحفيين، والحاجة الماسة الى أن يتم الكشف وتقديم الادلة الدامغة عن الفساد والاخطاء والانتهاكات، قبل أن يتمكن الفاسدون من اخفاء اثار جرائمهم، وهذا ما يفرض على الصحفي الاستقصائي ان يتعامل مع خواص البحث عبر الانترنت بحرفية عالية، تضمن له الاستفادة من الوقت على أكمل وجه.

أغلب الصحفيين ما زالوا حتى الان يقومون بعملية البحث بشكل عشوائي او تخميني، ما يعني انهم سيخسرون الكثير من الوقت الذي كان يمكنهم توفيره لو أنهم امتلكوا مقدارا معقولا من الحرفية في البحث عبر الانترنت.

فموقع غوغل مثلا، يوفر مجموعة كبيرة من الخيارات لتسهيل عملية البحث عن المعلومات، تبدأ من نوافذ الدخول الى بيانات غوغل، ولا تنتهي بالاختصارات القصيرة التي تساعد في عملية البحث.

ولو نظرنا الى صفحة غوغل الرئيسة، سنجد نوافذ دخول تنقلنا الى عالم البيانات التي نريدها في اسرع وقت ممكن، ولا نحتاج سوى الى معرفتها والتعود على استخدامها اثناء عملية البحث، ومثال ذلك:-

بحث الويب: يوفر لك هذا الخيار البحث في المليارات من صفحات الانترنت.

REDMI NOTE 10 23/03/2024 16:48